ملاحظة : جميع الحقوق محفوظة للأستاذ المادة لا يجوز طباعة هذه المحاضرات

جامعة ديالى/ كلية التربية الاساسية /قسم التاريخ

اسم المادة : تاريخ اوروبا في القرن العشرين

المرحلة الثالثة

استاذ المادة : م. احمد محمد جاسم

عنوان المحاضرة التاسعة :التطورات السياسية في اسبانيا للفترة ما بين الحربين(١٩١٨-١٩٣٩)

والموقف الدولي من الحرب الأهلية الاسبانية

تخلفت اسبانيا عما يجاورها من الدول الأوروبية في مجالات وميادين مختلفة سياسياً وفكرياً واجتماعياً واقتصادياً ،اذ كانت اسبانيا منذ أواخر القرن التاسع عشر دولة ملكية دستورية يحكمها الملك الفونسو الثالث عشر)الذي اعتلى العرش عام ١٨٨٥ ، وكانت تلك الملكية تستند إلى كنيسة كاثوليكية متزمتة وعلى الحكم الدكتاتوري الذي عطل العمل بالدستور ، واجهت اسبانيا منذ ذلك الحين سلسلة من المشاكل على الصعيدين الخارجي والداخلي فعلى الصعيد الخارجي تمثلت تلك المشاكل في نشوب حرب بين اسبانيا والولايات المتحدة الأمريكية بسبب كوبا عام ١٨٩٨ هزمت الأولى فيها وفقدت على أثرها ما تبقى لها من مستعمرات مثل كوبا وبورتوريكو في منطقة البحر الكاريبي والفلبين في جنوب شرق أسيا ، فضلاً أنها قد واجهت حركات التحرر الوطني في أمريكا اللاتينية ، أما على الصعيد الداخلي فقد واجه نظام الحكم الملكي في اسبانيا معارضة من قبل الشعب بسبب طابعه الاوتقراطي ونمو نفوذ العسكريين المؤيدين للملكية ، وقد تجسدت تلك المعارضة بقيام سلسلة من الثورات وصفت حينها بأنها غير فعالة مثل ثورة برشلونة.

خلال سنوات الحرب العالمية الأولى اتخذت اسبانيا موقف الحياد على الرغم من إعلانها حالة الطوارئ في البلاد على سبيل التحفظ ، وبعد فترة وجيزة من انتهاء الحرب ، تعرضت اسبانيا إلى هزيمة قواتها في المغرب عام ١٩٢١ أمام قوات الريف بقيادة القائد العربي محمد بن عبد الكريم الخطابي في معركة الأنوال التي تكبدت فيها القوات الاسبانية نحو ١٢٠٠ قتيل مما احدث ضجة كبيرة بين مختلف الأوساط السياسية في داخل اسبانيا ، فواجهت حكومة الملك الفونسو الثالث عشر معارضة واسعة في داخل اسبانيا ، فضلا ًعن المشكلات الكثيرة التي كانت تعاني منها ،ونتيجة لتلك الأوضاع السيئة أضطر الملك الى حث الجنرال ميغول بريمو ريفيرا Jose Antonio Primo De Rivera لتشكيل حكومة جديدة ليبدأ معها العهد الدكتاتوري العسكري الجديد في اسبانيا الذي استمر سبع سنوات حيث قام بتعليق الدستور وحل البرلمان وفرض الإحكام العرفية وفرض القيود على الحريات العامة والصحافة وتم نفي زعماء المعارضة إلى الخارج ، تصاعدت النقمة الشعبية ضد الدكتاتورية في اسبانيا ولسوء حظ الملك كانت موجهة ضد الملكية

نظاماً وليس ضد ديكتاتورية رئيس الوزراء الذي أصبح شخصاً غير مرغوب فيه ومرفوضاً من جميع الطبقات ومن الجيش والملك فقدم استقالته عام ١٩٣٠ ، وبعد استقالة ريفيرا ، اصدر الملك مرسوماً سمح بموجبه بإجراء الانتخابات وإطلاق الحريات العامة ،مما فسح المجال لزعماء الحركات الاشتراكية للوصول إلى المجلس النيابي والى الحكومة ، فأحرزت الجمهورية نصراً كبيراً فقرر الملك أن يغادر البلاد وأعلنت الجمهورية عام ١٩٣١ وتولى زامورا Zamora رئاستها المؤقتة وتشكلت حكومة اشتراكية يسارية مناهضة للكنيسة وللدكتاتورية العسكرية ،كانت الأوضاع العامة في العهد الجمهوري الجديد في اسبانيا صعبة للغاية حيث خضعت للتهديد منذ عام ١٩٣٢ ، نتيجة لزيادة المعارضة التي كان كبار ملاك الأراضي وضباط الجيش والجزء الأكبر من رجال الدين الكاثوليك يمثلون ركائزها الرئيسة .

تعاقبت على الحكم في اسبانيا حكومات ذات ميول متضاربة بين تحالف اليسار بعد ان انقسموا البرجوازيين إلى اشتراكيين وشيوعيين وهم الأقلية وجمهوريين واشتراكيين معتدلين الذين بتحالفهم وضعوا دستوراً ديمقراطياً علمانياً ووضعوا مشروعاً لإصلاح زراعي شامل ، ألا أن عملية الإصلاح هذه اعترضها صعوبات كثيرة ، الأمر الذي حمل الفلاحين على الثورة واخذوا يحتلون الأراضي مصحوبة بإعمال العنف وهيمنة الغوغاء مما أدى في انتــخابات عام ١٩٣٤ إلى دخول المجلس أكثرية رجعية ساحقة تمثلت في اتحاد اليمين المستقل بقيادة جيل روبلس وشكلت كتائب مسلحة ميلشيات كانت تحمل أفكارا ومبادئ نازية مناهضة للماركسية وظهرت الكتائب الاسبانية بقيادة خوزيه ابن بريمو ريفيرا .

انتهجت الحكومة المستندة إلى أحزاب اليمين خلال سنتين سياسة الانكماش المالي كما سعت لإلغاء التشريعات الزراعية وتعديل نصوصها إلا إن هذه السياسة التي اتسمت بالرجعية وقمع الإضرابات العمالية التي وقعت في استوريا وغيرها بالدم على يد الفرقة الأجنبية وفرق المغاربة والطيران كل ذلك ساعد على تشكيل جبهة شعبية في البلاد فلقد تكتل الاشتراكيون والشيوعيون ودخلوا الانتخابات العامة في شباط ١٩٣٦ ككتلة واحدة قادتهم إلى الفوز ، حمل هذا الفوز الطبقات الحاكمة والجيش ورجال الدين الى اللجوء الى العنف وراح الكتائبيون والفاشيون بقيادة خوسيه انطونيو وخوزيه بريمو ريفيرا وكالفوا ستيلو ينظمون أنفسهم عسكرياً ويستعدون للقتال ، أدى ذلك إلى اندلاع الحرب الأهلية الاسبانية التي كانت حرباً بين الإيديولوجيات التي ولدت بعد الحرب العالمية الأولى في أوربا مما أدى إلى تدخل معظم دول العالم بين مؤيد لهذا الطرف ومعارض للطرف الأخر وقد ساعد على اندلاع هذه الحرب العوامل السياسية والأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والدينية التي عاشتها اسبانيا ،وكانت بداية الثورة على يد عدد من الضباط بقيادة كالفوا ستيلو Calvo Sotelo الذي كان وزيراً للمالية في حكومة الدكتاتور ريفيرا ولكنه قتل في تموز ١٩٣٦ ، فثار الجنرال سان خورخو في مراكش الاسبانية ((سبتة ومليلة)) ولما مات في حادث طائرة خلفه في قيادة الحركة الجنرال فرانسكو فرانكو General Franco فرانكو وهو

الذي تولى قيادة إحدى تشكيلات الجيش الاسباني في المغرب العربي ثم تمرد في ١٨ تموز١٩٣٦ بمساعدة الجيش المغربي الذي قبل إن ينضم إلى التمرد نظير وعود كثيرة قطعت له باستقلال مراكش وفي إثناء التمرد استطاع إن يحتل موقع قيادة القوات الاسبانية في المغرب ، وبها زحف إلى اسبانيا ، كانت مبادئه وأفكاره تنصب على معاداة الشيوعية ومبادئ الفكر الفاشي والنازي لذلك كان التقارب بينهما قائماً ، ويعود لهما الفضل في انتصار فرانكو على ساحة الحرب الأهلية الاسبانية في قيادة الحركة ، وفي ٢١ تـموز من نفس العام قرر فـرانكو الاستعانة بالدعم الخارجي ولاسيما الـدول ذات الأنظمة الفاشية ،ومن هنا بدأ التدخل الأجنبي في الحرب الأهلية الاسبانية ، حيث كان لكل من تلك الدول التي تدخلت في تلك الحرب أهداف ، حـــيث حصل فرانكو على مساعدات من الأنظمة الفاشية ((ايطاليا وألمانيا)) والحكومة الدكتاتورية في البرتغال ، فضلاً عن دعم ضئيل من فرنسا وحكومة المحافظين في بريطانيا ، إما الجمهوريون فلم يحضوا بتأييد تلك الدول فيما عدا مساعدات ضئيلة من قبل الاتحاد السوفيتي وخصوصاً في بداية الحرب ، فضلاً عن مساعدات غير محسوبة من قبل فرنسا وحزب العمال في بريطانيا ،فبالنسبة لايطاليا كانت اكبر الدول المساهمة في الحرب حيث بلغ عدد الجند الايطاليين في اسبانيا حوالي أكثر من أربعين إلف مقاتل.

ولقد كان لإيطاليا غاية من مساعدة فرانكو ، حيث كانت تأمل في الأقل إن تحصل على نفوذ لها في اسبانيا ومما شجعها على هذا انه كان قد تأسس في اسبانيا حزب فاشي ، فضلاً عن أنها كانت تهدف إلى الحصول على بعض القواعد البحرية والجوية ولاسيما في جزر البليار ، التي تستطيع من خلالها تهديد النفوذ الفرنسي في حوض البحر المتوسط الغربي وتعزيز النفوذ الايطالي فيه وصولاً الى جعل البحر المتوسط بحيرة ايطالية ، حيث طالب الجنرال مولا قائد العمليات في شمال اسبانيا بإرسال مبعوثين إلى روما لطلب المساعدات الجوية ، وقد تعهد وزير خارجية ايطاليا بإرسال طائرات إلى مراكش حيث وصلت في ٣٠ تموز ١٩٣٦ دفعة من الطائرات،أما ألمانيا فقد حاولت إن تستغل الحرب الأهلية الاسبانية في توسيع شقة الخلاف بين ايطاليا وفرنسا ، حيث سعت إلى عقد تحالف مع اسبانيا يهدف إلى إثارة قلق فرنسا ويضطرها في حالة نشوب حرب بينها وبين ألمانيا إلى الإبقاء على بعض من قواتها على الحدود الاسبانية ، كذلك حاولت ألمانيا استخدام اسبانيا ميداناً لاختبار كفاءة أسلحتها ولاسيما الجوية منها ، كما كانت تريد الحصول على بعض من المواد الأولية من اسبانيا مثل الفحم والحديد ، وفي الوقت نفسه كانت ألمانيا تهدف من وجود فرانكو صديق ألمانيا على كرسي الحكم في مدريد ((العاصمة الاسبانية)) يرغم فرنسا إلى الاحتفاظ بجزء كبير من جيشها على البرانس الأمر الذي يوهن قوى فرنسا العسكرية ويشتتها خاصة وان الصداقة الايطالية الألمانية قد بدت واضحة ومهددة لفرنسا أكثر من موقع،هذا وقد انحازت البرتغال إلى صف فرانكو بالنظر إلى إن نظامها كان دكتاتورياً ،كما أنها كانت تناصب الشيوعية العداء ،وبذلك سمح دكتاتورها سالازار باستخدام أراضيه في نقل الإمدادات إلى قوات فرانكو، أما عن موقف الاتحاد السوفيتي من الحرب الأهلية الاسبانية فكان يسعى إلى تقوية

الشيوعية في وجه طغيان الفاشية والدكتاتورية في أوربا الغربية(ألمانيا، ايطاليا ، اسبانيا ، البرتغال)، لذا فقد حصل الجمهوريون على مساعدات من الاتحاد السوفيتي الذي حملته عقيدته السياسية على الوقوف على جانب الشيوعيين الذين كانوا يشكلون احد ركائز الجمهوريين ولاسيما أن انتصار الأخيرين سوف يزيد من نفوذ الشيوعيين في اسبانيا وقد يؤدي ذلك الى حصول السوفيت على موطئ قدم لهم في اسبانيا وفي أوروبا الغربية وكذلك أراد السوفيت ان تؤدي الحرب الى تعميق الهوة بين فرنسا وبريطانيا((الدول الديمقراطية)) من جهة وبين ألمانيا وايطاليا((الدول الفاشية)) من جهة أخرى وذلك مما جعل الاتحاد السوفيتي يرغب في إطالة أمد الحرب الأهلية الاسبانية أكثر من رغبته إن ينتصر الجمهوريون فيها ، وبصدد المساعدات التي قدمها الاتحاد السوفيتي للجمهوريين ، كانت تقتصر في الشهور الأولى من الحرب على تقديم المعونات الغذائية ، ثم أخذت منذ أواسط تشرين الأول ١٩٣٦ تتسع لتشمل إرسال الأسلحة وبعض الخبراء في الطيران والمدفعية في ربيع عام ١٩٣٧ بلغ عدد الطيارين والخبراء السوفيت الذين كانوا يعملون لحساب الجمهوريين ٢٠٠٠ رجل،غير أن هذه المساعدات كانت ضئيلة قياساً إلى المساعدات الفاشية والنازية ، ورغم أهمية اسبانيا بالنسبة للسوفيت الا أن البعد الجغرافي وعدم وجود منافذ يستطيع منها مد يد المساعدة للجمهوريين والشيوعيين جعلت مساعداته ليست ذات جدوى.

إما بالنسبة إلى موقف فرنسا فقد كانت تعارض أي تدخل أجنبي في الحرب الأهـلية الأسبانية ، ولم تكن ترغب أيضا في ان تحقق قوات فرانكو انتصاراً على الجمهوريين لان من شأن ذلك ان يمكن ايطاليا وهي حليفة فرانكو من الحصول على بعض المواقع في اسبانيا مما يؤدي بالتالي الى احداث تغيرات في منطقة حوض البحر المتوسط الغربي ، الامر الذي كانت تعارضه فرنسا بشدة، إذ كان رئيس وزراء اسبانيا الجمهورية جوزيه جيزال قد طلب مساعدات عاجلة تشمل الطائرات والأسلحة المختلفة في رسالة وجهها الى ليون بلوم رئيس وزراء فرنسا ، والواقع ان بلوم في بداية الأمر قد تعاطف مع الكتلة الاشتراكية الحاكمة في اسبانيا وعرض الأمر على مجلس الوزراء الذي اقر ضرورة إرسال المعونات العسكرية الى مدريد ، ولكن شيوع نبأ الموافقة على إرسال الأسلحة وتناول الصحف له وخاصة صحف اليمين اثأرا مخاوف الفرنسيين من ذلك قد يقود الى صدام منفرد مع النازية والفاشية وأصبح موضوع ارسال السلاح اخطر الموضوعات التي مزقت الجبهة الفرنسية الداخلية ، ولكن بلوم تغاضى عن المعارضة الداخلية ليواجه الضغط البريطاني الداعي الى عدم دعم الجمهورية او في الأقل عدم التدخل .

وهـكذا واجه بـلوم مـعارضة شـديـدة جعلته يتخلى عن المناصرة الفعلية للجمهوريين الأسبان على الرغم من إن فرنسا كانت قادرة على مساندة الجمهوريين الأسبان بما يمكنهم من سحق فرانكو وكان هذا هو موقف اليسار الفرنسي الذي ادان به حكومة الجبهة الاشتراكية التي يقودها بلوم ، إما عن موقف بريطانيا تحت حكم المحافظين فكان يشبه الى حد بعيد موقف فرنسا اذ انها كانت تعارض التدخل الأجنبي في الحرب الأهلية الاسبانية كما كانت تعارض ايضا حصول

ايطاليا وألمانيا على أية مكاسب في منطقة البحر المتوسط الغربي خشية ان يؤدي ذلك الى تهديد المواصلات البريطانية المارة عبر مضيق جبل طارق ، وقد شهدت بريطانيا كما كان الحال في فرنسا ، اختلافات حادة في وجهات النظر تجاه الموقف الواجب اتخاذه ازاء طرفي الحرب، بريطانيا هي الأخرى تمزقت جبهتها الداخلية فالأحرار والعمال عارضوا بشدة سياسة بلدوين ووزير خارجيته ايدن ومن قبله هاليفاكس المتسمة بالمراوغة والاستسلامية من خلال مولاة النازية والفاشية في ألمانيا وايطاليا واسبانيا ،فبينما كان المحافظون يميلون إلى تأييد قوات فرانكو كان العمال يدعون الى مساعدة الجمهوريين وقد اتفق في النهاية على حل وسط يقدم حزب العمال بموجبه دعماً للجمهوريين في حين يقدم حزب المحافظين المساعدة الى قوات فرانكو، اذ كان حزب العمال المعارض في بريطانيا يؤيد الحكومة الجمهورية في اسبانيا ، ألا أن حكومة بلدوين المحافظة لم ترغب في إغضاب فرانكو الذي كانت تتنبأ بانتصاره وبالتالي عدم إزعاج موسوليني التي كانت تأمل في إبعاده عن ألمانيا لذلك رحبت بمشروع ليون بلوم بعد الضغوط التي تعرض لها ليون بلوم في الداخل والخارج بل حتى من رئيس الجمهورية الفرنسية اتخذ موقفاً مناهضاً لمساعدة فرنسا للجمهوريين الإسبان ، وجد بلوم مخرجاً من هذه الأزمة بتشكيل لجنة دولية مهمتها منع أي تدخل في الحرب الأهلية الاسبانية تضم فرنسا وبريطانيا وايطاليا وألمانيا وقد أيدته بريطانيا مقترحاته ووافقت عليها ظاهرياً ألمانيا وايطاليا والاتحاد السوفيتي. غير ان هذه المقترحات ساقت الجمهوريين الاسبان الى الهاوية وتصدعت الجبهة الحاكمة في فرنسا ، وبدأ اليسار الفرنسي والبريطاني يرسلون المتطوعين للقتال الى جانب الجمهوريين الإسبان وهذا ما عرف بقتال القوى الديمقراطية والاشتراكية ضد النازية والفاشية على الأرض الاسبانية في تأليف لجنة عدم التدخل ، يُشار إلى إن أتباع سياسة عدم التدخل وحظر السلاح تم خرقها من قبل بريطانيا ، فعلى الرغم من اعلان بريطانيا حظر بيع الاسلحة الاسبانية في تموز ١٩٣٦ على اعتبار ان الصراع كان شاناً داخلياً ، الا ان الحكومة المحافظة لم تضع الحظر على البيع الفردي للأسلحة بل رفضت بيع الاسلحة الحكومية او اعطاءها لأي جانب وقد طالبت حكومة برغوس من الضباط البريطانيين في مضيق جبل طارق تزويده بالسفن ، الا ان البريطانيين اظهروا عدم قدرتهم على تقديم المساعدة المباشرة ولكنهم عرضوا عليه سفناً قليلة غير مسجلة راسية في الموانئ البرتغالية ووضعوا تحت تصرفه خطاً هاتفياً في جبل طارق ، مما جعله يتحدث مع روما وبرلين فيما بعد من غير ان تمر المكالمات خلال اجهزة المراقبة الاسبانية ،ولقد عقد حزب العمال البريطاني المعارض مؤتمراً له في بداية تشرين الأول عام ١٩٣٦ في مدينة ادنبرغ نص على عدم التدخل من كلا الطرفين الحكومة والحزب في الحرب الأهلية الاسبانية ، الا ان موقفه هذا تغير في البرلمان حيث عارض سياسة عدم التدخل ، ففي اجتماع الحزب في ٢٩ تشرين الأول من العام نفسه ساند الحزب الجمهوريين في اسبانيا والذين سيكون انتصارهم سابقة خطيرة تفضح العدوان غير الظاهر والتدخل في اماكن اخرى، وتساءل الحزب فيما اذ كانت الثورة ضد حكومة فاشية ذات جبهة شعبية ، فهل ان أي احد سيقترح سياسة عدم التدخل ، إنّ مصالح بريطانيا في الصراع الاسباني ، كان قد حددها ايدن في خطابة في مجلس العموم بتأريخ ١٩ كانون الثاني

١٩٣٧ وكانت هذه المصالح تعني منع انتشار الصراع وراء الحدود الاسبانية ولتأكيد الاستقلال السياسي والوحدة الاقليمية لإسبانيا ، واعلن عن رفض بريطانيا لأي قوة اجنبية قد تسيطر على اسبانيا وتوجه سياستها الخارجية في الوقت الذي لم يهتم بشكل الحكومة التي تسيطر على اسبانيا سواء اكانت يمينية ام يسارية ، وفي ١٧ أيار ١٩٣٧ ، تولى نيفيل تشمبرلين منصب رئاسة الوزراء ، وقد مهد هذا الحدث لأجراء تغيير مهم في السياسية الخارجية ، فقد كان تشمبرلين يريد اقامة علاقات ودية مع المانيا وايطاليا على الرغم من الاختلافات في اسبانيا ، اذ بدأ تشمبرلين في صيف عام ١٩٣٧ بوضع سياسية الترضية اتجاه ألمانيا ، فبخصوص الخطوة السياسة البريطانية التي دعت الى وقف القتال اقترحت بريطانيا اجراء هدنة وفاتحت الحكومة الالمانية في قضية انسحاب المتطوعين الاجانب الذين وصل عددهم في اسبانيا حوالي ١١ ٠٠٠ ٠ وقد افتخر موسوليني بمتطوعيه ، أما حكومة بريطانيا فقد احتفظت بسياسة عدم التدخل ، بينما حزب العمال انتقد سياسة حكومته على لسان قائد الحزب اتلي بقوله "نحن حزب العمال سنكون ديمقراطيين ، لكن اذا قدر للديمقراطية ان تبقى على قيد الحياة ، فيجب علينا التهيؤ للنهوض ضد الدكتاتورية"ففي تلك المرحلة فضلت بريطانيا التفاوض مع المانيا وقد علق ايدن اهمية كبيرة على الحصول على موافقة الحكومة الالمانية ، في حين لم تكن لروما علاقات ودية معه ومع حكومته،كان لحـزب العمال البريطاني موقف معارض بالنسبة لسحب المتطوعين الاجانب من اسبانيا ، حيث قام أعضائه بتوجيه عدة اسئلة الى ايدن خلال اجتماع مجلس العموم في ٦ نيسان ١٩٣٧ ، إذ ّ أجاب ايدن بانه لا توجد لديه بيانات جديدة سوى انه ابدى ارتياحه من عدم ورود أنباء عن وصول متطوعين اجانب جدد الى اسبانيا في الآونة الاخيرة ، وقد اجاب عن سؤال النائب المعارض ويلم وافيسون الذي اراد ان يعلم ما اذا كان الطرفان المهيمنان في اسبانيا قد فوتحا بشأن سحب المتطوعين البريطانيين فقال ان القضية اعقد كثيرا من ان يجاب عليها فوراً ،وأضاف انه لم يسمح باستخدام الطرفين غازات في معاركهما ، وفي اجتماع مجلس العموم البريطاني في الأول من حزيران ١٩٣٧ تساءل اتلي زعيم حزب العمال عن موقف الحكومة البريطانية بشأن احترام نقاط المراقبة الدولية في الدوريات البحرية في البحر المتوسط فأجابه ايدن بان المعلومات التي لديه تمكنه من ابلاغ المجلس بان المانيا وايطاليا يستمران على احترام نقاط المراقبة الدولية بقدر ما يخصهما دون ان يشتركا في الدوريات البحرية ، واضاف ان الحكومة مازالت باذلة جهدها للحيلولة دون تفاقم الحالة وهي على اتصال دائم بالحكومات الاخرى على امل اتخاذ التدابير التي من شأنها ان تساعد على اعادة المياه الى مجاريها المعتادة قبل نشوء الوضعية المحزنة الحالية .

أما عن موقف الحكومة البريطانية من قصف مدينة الميريا بعد اعتداء الجمهوريين على البارجة الالمانية الدوتشلايد ، فقد كان موقف المتأرجح ، ونصح السفير البريطاني في برلين وزير الخارجية الالماني بعدم اعطاء الفرصة للاتحاد السوفيتي من خلال توسيع النزاع في اسبانيا الى حرب عالمية ، اما ايدن فقد عّبر عن تعاطفه لوقوع الخسائر في الجانب الالماني، وعّد قصف المدينة عملاً متطرفاً فقد احدث وضعاً خطيراً في تلك المرحلة من الحرب وتأمل ان لا تذهب

الحكومة الالمانية الى ابعد من ذلك ، لـقد اجتمع اعضاء من حزب العمال وقاموا بتوجيه عدة اسئلة الى وزير خارجية بريطانيا ايدن في اثناء انعقاد مجلس العموم في الأول من حزيران ١٩٣٧ ، حيث سأله اتلي عما اذا كانت الحكومة الالمانية قد اعربت للحكومة الاسبانية عن عطفها على ضحايا القصف بالميريا ، فأسرع جماعة من النواب المحافظين بإضافة عبارة (وعلى الضحايا الالمان ايضا) فأجاب ايدن ان الحكومة اعربت عن اسفها للطرفين ، وسأل نائب العمال بلنجو ايدن عما اذ كان قصف مدينة الميريا يعدّ عملاً حربياً وهل في امكانه أن يبين وجهة نظر الحكومة البريطانية في هذا الصدد ، وفي الموضوع نفسه سأل نائب عمالي اخر فيما اذا كانت التدابير اللازمة قد اتخذت لسد الثغرة التي احدثها انسحاب البوارج الالمانية والايطالية من مشروع الرقابة فقال ايدن "ان هذا من جملة المسائل التي تسعى الحكومة الى معالجتها" وقد تم استخلاص من كلام الوزير اخيرا ان المياه الساحلية الان خالية من الرقابة ،

أن قلق بريطانيا على مصالحها في البحر المتوسط وتخوفها من قيام المانيا بأعمال انتقامية قد تؤثر في ملاحتها في المنطقة دفعت برئيس وزرائها تشمبرلين لدعوة وزير خارجية ألمانيا ينورث لزيارة لندن في الفترة ٢٣-٢٤ من حزيران ١٩٣٧ ، وفي ٢٥ حزيران ١٩٣٧ شرح تشمبرلين سياسة حكومته ازاء الحرب الاهلية الاسبانية حيث اشار في سياق حديثه الى حادثة البارجة لايبزك ووضح عدم موافقة الحكومة البريطانية على اقامة التظاهرات في بريطانيا تضامناً مع الدول الاوربية الاخرى المشاركة في الحرب الاهلية الاسبانية احتجاجاً على حكومة بلنسية اتخذها الجمهوريون مقراً لهم لقصفها هذة البارجة فقال "ان القانون الدولي يقضي بالتحري والتحقيق قبل الاقدام على تجريم المعتدي ومعاقبته" ومع ذلك فقد اثنى ثناءً طيبا على عمل الحكومة الالمانية باكتفائها بسحب اسطولها من المشروع وهي مازالت تتذكر بمرارة قتلى البارجة الدوتشلاند بقنابل الطيارات ، ثم أكد السعي لسحب المتطوعين الاجانب من اسبانيا وسد الفراغ الذي احدثه انسحاب اسطولي المانيا وايطاليا من حلقة الرقابة البحرية بمياه اسبانيا ، حول استحالة اشتراك بريطانيا بالتفاهم ضد بلنسية بعد ان نفت تهمة المانيا ورأى انه عند الاتهام والانكار لابد من التحقيق قبل الاقدام على التجريم ، ثم قدم ايدن استقالته في هذا الاجتماع احتجاجاً على سياسة الحكومة المتمثلة بتشمبرلين .

وفي كانون الاول ١٩٣٧ قام زعيم المعارضة في مجلس العموم البريطاني ورئيس حزب العمال اتلي مع عدد من اعضاء حزب العمال بزيارة لإسبانيا الجمهورية وصرح عضو الحزب Beekr بان خطب واتصالات اتلي في اسبانيا كانت متفقة مع الوعد الذي قطعه على نفسه قبل مغادرته لندن بالامتناع عن كل عمل لا يأتلف وسياسة عدم التدخل التي تتبعها الحكومة البريطانية ، يشار الى ان الراي العام البريطاني وحزب العمال ايدوا الجمهوريين في اسبانيا بلا تحفظ وقد استغلت القوى الماركسية واليسارية هذا التعاطف لتأليب الرأي العام ضد حكومة تشمبرلين ، وقد شاركت القوى اليسارية والعمالية في الحرب كمتطوعين الى جانب القوى الجمهورية وكانت مشاركة بسيطة متمثلة بـ كتيبة اتلي ولكن الشيوعيين استغلوا الحرب الاسبانية

للولوج الى النقابات العمالية بل حتى التسرب في صفوف حزب العمال من خلال العصبة الاشتراكية التي يتزعمها كريبس وهكذا اعادت الحرب الاسبانية الحرب بين الشيوعيين وحزب العمال وشن الحزب حملة تطهير واسعة في صفوفه لتنقية الحزب من المتسربين والمتعاطفين مع الشيوعيين وكذلك في الاتحادات العمالية لاسيما اتحاد المعدنيين والصناعات الهندسية ، وبتأزم الوضع في اسبانيا وتعرض الالاف من النساء والاطفال للقتل بسبب القصف كتبت صحيفة هيرالد ((انه يجب ان يعاد الى حكومة برشلونه حقها في شراء السلاح)) بشأن هذه القضية حدثت مجادلات حادة في مجلس العموم بين تشمبرلين واتلي زعيم المعارضة حيث طلب الاخير مساعدة الجمهورية في اسبانيا ، وتساءل عما اذا كانت الحكومة البريطانية سوف تتداول ، مع الحكومة الفرنسية بشأن حقوق تلقي الاسلحة والمساعدة الى الحكومة الاسبانية ، فرد عليه تشمبرلين انه متصل بالحكومة الفرنسية ، ثم بادره بسؤال اخر عما اذ كان رئيس الوزراء قد درس اي عمل بالنظر الى استمرار فرق عدم التدخل ، وذكر بيان رئيس الوزراء عند انبائه المجلس بالمحادثات مع ايطاليا ان كل حركة اخرى وتبدل في الوضع العسكري الاسباني لابد ان يؤثر في استمرار المحادثات الايطالية والوضع برمته ، فقال تشمبرلين ان التطورات الاخيرة قد حصلت فيما يخص الرجال والاسلحة والتجهيزات التي سبق وجودها في اسبانيا، فان سياسة عدم التدخل لم تعد مهزلة بل اصبحت كذبة وايطاليا والمانيا تكسبان الحرب لصالح الجنرال فرانكو ، كما ان عودة عدد من المتطوعين الذين قاتلوا في اسبانيا في صفوف الفرق الدولية ، احدث حركة جديدة في اتحاد عمال المعادن في بريطانيا ترمي الى حمل الحكومة على تعديل سياستها ازاء الحرب الاهلية ،وافقت اللجنة التنفيذية للاتحاد على قرار طلبت فيه على أن تترك للحكومة الاسبانية الحرية التامة في شراء الاسلحة والذخائر، وعندما اشتدّ القصف الجوي للقوات الجوية التابعة للجنرال فرانكو على السفن التجارية البريطانية لم يسمح تشمبرلين لحكومته بالاندفاع في تيار الشعور المعادي لفرانكو الذي ساور بعض الاوساط البريطانية ، فصرح في مجلس النواب البريطاني " انه لن يجعل من مسألة اغراق السفن البريطانية مسألة حاسمة لأنه غير واثق بان السفن التي اغرقت لم تكن حاملة مواد حربية " ولاريب ان الباعث السياسي الذي وراء موقف تشمبرلين هذا رغبته في أن لا يعمل عملاً من شأنه ان يهدد او يخرق اتفاق روما ، قبل ان يوضع موضع التنفيذ وكذلك روما تنظر الى الموضوع نظرة تشمبرلين ذاتها ، ولذلك اشارت على الجنرال بتخفيف وطأة طائراته على السفن البريطانية وكذلك اقتراح افراد موانئ خاصة للسفن البريطانية تكون في مأمن من هجوم الطيران ، وفي الوقت نفسه يمكن مراقبة شحناتها مراقبة دقيقة ، وقد نشط في الوقت نفسه عمل لجنة عدم التدخل وانتهت الى الموافقة بالإجماع على المشروع البريطاني الخاص بسحب المتطوعين فخفف حدة التدخل الدولي بالمسألة الاسبانية .

يشار الى ان لسياسة تشمبرلين منذ توليه الحكم في بريطانيا ، والذي تزامن مع تعقد المشكلة الاسبانية هدفين ، هدفا ً معلنا ً وهو المحافظة على السلم والامن الجماعي ، وهدفاً خفياً وهو تحقيــق سبــل الصــدام بين النازية – الفاشية (المتمثلة بهتلر وموسوليني) والشيــوعية

المتمــثلة ب (الاتحاد السوفيتي) حيث كانت المشكلة الاسبانية من دون كل المشكلات الدولية التي ظهرت على السطح آنذاك ، هيأت ارضية خصبة لتنفيذ صراع الأيدولوجيات فرانكو مع ايطاليا ويزيد مع ذلك كلاً من المانيا والجمهوريين في اسبانيا مع الاتحاد السوفيتي وقوى اليسار الديمقراطي العالمي = الصدام بين الشيوعية والنازية –الفاشية ، ولقد كان فرانكو من مؤيدي سياسة تشمبرلين فيما يخص ضرورة القضاء على الشيوعية المتمثلة بالاتحاد السوفيتي ، والدليل على ذلك خطاب فرانكو الذي كان قد القاه في ١٨ تموز ١٩٣٨ بمناسبة الاحتفال بالعام الثاني على نشوب الحرب الاهلية الاسبانية حيث قال موجهاً خطابه الى جميع مقاطعات اسبانيا

" كان اليوم الثامن عشر من تموز من عام ١٩٣٦ ليس فقط يوم انقلاب في تاريخ اسبانيا بل أيضاً بداية عهد جديد في تاريخ العالم اذ انه في ذلك اليوم بدأ الكفاح العام ضد الشيوعية الهدامة ، وكان قد بدأ به مؤسس الكتائب الوطنية جوزيف انطونيو دي ريفيرا في عام ١٩٣٤ ، وكان قد فرض علي ان يجعل تحت تصرفي قوات حركته تلك ، هذا وان الكفاح ضد الشيوعية كان قد كبد اسبانيا قبل نشوء الحرب القائمة ضحايا كثيرة بالأنفس تقدر بألفي شخص من الرجال والشبان ، وفي عام ١٩٣٦ تمكنت الشيوعية الدولية من ان تجعل على رأس الحكومة الاسبانية رجالاً كانوا قد صمموا على استعمال كل الوسائل الممكنة لجعل اسبانيا شيوعية بحتة .... ثم تحدث عـن تـدخل الحكومة الروسية في اسبانيا بأجلى مظاهرها فهي لم تكتف بارسال الخبراء الفنيين والقواد العسكريين و المعدات الحربية بل ايضا نظمت في انحاء العالم دعاية ضد اسبانيا وحاولت بهذه الواسطة نسف موقف العناصر المسؤولة في اسبانيا " موقف حزب العمال من اعادة تسلح بريطانيا في عهد حكومة تشمبرلين في ٢٣ آب ١٩٣٨ جاء في التقرير المرفوع الى مؤتمر اتحاد النقابات من ان المفاوضات مع رئيس وزراء بريطانيا بشأن اعادة التسلح ان المجلس العام للاتحاد المذكور يصرح من جديد بالمبدأ القائل بأن مجرى مفاوضات كهذه يجب ان تنظمه اعتبارات صناعية لا سياسية، فالتوسع في الصناعات العسكرية على حساب الصناعات الاخرى ليس غرضه خدمة الاقتصاد البريطاني بل اهداف تشمبرلين السياسية لذا فان بعض النقابات اتخذت هذا المبدأ واندفعت صوب القيام بعمل مباشر لإجبار الحكومة على تغيير سياستها القائمة على التدخل في اسبانيا والتأثير في مجرى الاحداث في الصين واوروبا الوسطى، واحتجاجاً على سياسة تشمبرلين تجاه قضية اسبانيا ، سارت مظاهرات كبيرة من ميدان الطرف الاغر مخترقة الشوارع الموصلة الى دار السفارة الاسبانية وقدمت للسفير الاسباني نص القرارات التي اتخذها المتظاهرون احتجاجاً على سياسة الحكومة البريطانية ، إما بشأن منح فرانكو حقوق محارب من قبل الحكومة البريطانية ، فقد قدم هيو دالتون اقتراحاً جاء فيه ((ان هذا المجلس لايثق بالسياسة الخارجية لحكومة جلالته)) حيث دعا الى عدم الثقة بالحكومة وضرورة اجراء استفتاء للشعب حول هذه الحكومة ، وقد قدم الاقتراح قبل زيارة رئيس الوزراء ووزير خارجيته لروما ، وتساءل عما اذ كان من المفيد لتشمبرلين زيارة روما في حين دلت الدلائل بوضوح على إن جميع التعهدات التي أعطاها موسوليني لم يحافظ عليها ، وطلب دالتون ضمان عدم إعطاء حقوق المحاربين للجنرال فرانكو ،

وعندما اعترفت الحكومة البريطانية بحكومة الجنرال فرانكو قامت مظاهرة كبيرة في ساحة الطرف الأغر أيضا نظمها حزب العمال ، ولقد خطب بالمتظاهرين اتلي احتجاجاً على قرار الحكومة بالاعتراف ، وعليه يمكن تحديد موقف الرأي العام البريطاني من الحرب الاهلية الاسبانية ١٩٣٦-١٩٣٩ بكونه موقفاً اتخذ سياسة متأرجحة ، ففي الوقت الذي يمكن فيه وصف سياسة الحكومة المحافظة بانها سياسية عدم تدخل مساومة مع مهادنة مع انحياز نحو جانب المتمردين والمتمثل فرانكو وأعوانه ، نجد ان سياسة حزب العمال عدم التدخل مع الانحياز الى جانب الجمهوريين المتمثل بالجبهة الشعبية الاسبانية وأنصارها، وقد حظي حزب العمال البريطاني بدعم واسناد المفكرين البريطانيين ، فقد سبق ان اعلن حزب العمال عن رفضه استغلال الرأسماليين البريطانيين للعمال الاسبانيين وان وصول الاعداد المتزايدة من المتطوعين الالمان والايطاليين قد عزز التعاطف المعادي لفرانكو ووقف ضد أي تدخل فعال في اسبانيا من قوى اجنبية ودعا الى ولوج باب المفاوضات بين الدول المتورطة في الحرب الاسبانية لتحقيق السلام في اسبانيا .

ومن خلال ما تقدم يمكن ان نلخص موقف الدول الكبرى من الحرب الاهلية الاسبانية ١٩٣٦_١٩٣٩: نجد أن تدخل الدول الكبرى في الحرب الأهلية الاسبانية كان حسب مصالحها:

١.الموقف الايطالي من الحرب: ساندت ايطاليا فرانكو على أمل تأسيس نفوذ لها في اسبانيا ، وللحصول على بعض القواعد البحرية والجوية التي تستطيع من خلالها تهديد النفوذ الفرنسي في حوض البحر المتوسط وقد اعترفت حكومة ايطاليا بحكومة فرانكو في تشرين الثاني ١٩٣٦ وان التدخل الايطالي في اسبانيا قد كلف الخزينة نحو ٧٠٠ مليون دولار .

٢.الموقف الألماني من الحرب :حاولت ألمانيا إن تستغل الحرب الأهلية الاسبانية في توسيع شقة الخلاف بين ايطاليا وفرنسا ، وسعت إلى عقد تحالف مع اسبانيا من شانه أن يثير قلق فرنسا ويضطرها في حالة نشوب حرب بينها وبين ألمانيا ، إلى الإبقاء على بعض قواتها على الحدود الاسبانية ، وكذلك حاولت ألمانيا استخدام اسبانيا كي تكون ميداناً لاختبار كفاءة أسلحتها لاسيما سلاح الجو ، وقد اعترفت ألمانيا بحكومة فرانكو في تشرين الثاني ١٩٣٦، وبلغت قيمة المساعدات التي قدمها هتلر إلى فرانكو بنحو ٢٠٠ مليون دولار فضلاً عن الإلف المقاتلين ومئات الطائرات والدبابات.

٣.موقف الاتحاد السوفييتي من الحرب :ساعد الاتحاد السوفييتي الجمهوريين وكان اغلبهم من مؤيدي الأفكار الشيوعية ، لذلك فان انتصار الجمهوريين على فرانكو من شانه إن يعزز في حصول السوفيت على موطئ قدم لهم في اسبانيا وفي أوربا الغربية ، كذلك أراد السوفيت توسيع الفجوة بين بريطانيا وفرنسا من جهة وبين ايطاليا و ألمانيا من جهة أخرى وذلك مما جعل السوفيت يرغبون في إطالة أمد الحرب وقد وصل عدد الطيارين و الخبراء السوفيت الذين كانوا يعملون لحساب الجمهوريين نحو ٢٠٠٠ رجل .

٤.الموقف الفرنسي من الحرب :عارضت فرنسا أي تدخل أجنبي في الحرب الأهلية الاسبانية ،ولم تكن ترغب كذلك بان ينتصر فرانكو على الجمهوريين ،لان ذلك سيمكن ايطاليا من الحصول على بعض المواقع في اسبانيا مما يؤدي بالتالي إلى إحداث تغيرات في منطقة البحر المتوسط وقد وافقت الحكومة الفرنسية على السماح للمتطوعين بالالتحاق بقوات الجمهوريين .

٥.الموقف البريطاني من الحرب :كان موقفها يشبه إلى حد ما موقف فرنسا ، إذ أنها عارضت التدخل الأجنبي في الحرب وعارضت حصول ايطاليا أو ألمانيا إلى أية مكاسب في البحر المتوسط خشية من أن يؤدي ذلك إلى تهديد المواصلات البريطانية المارة عبر جبل طارق ، وقد انقسمت الأحزاب البريطانية في موقفها من الحرب فحزب العمال قدم دعمه إلى جمهوريين بينما دعم حزب المحافظين قوات فرانكو .

المصادر

١) قحطان حميد كاظم و احمد محمد جاسم، تاريخ اوروبا في القرن العشرين من الحرب العالمية الاولى الى التدخل التركي في قبرص ،ديالى ،٢٠١٥.
٢) طارق زيادة ، صفحات من الحرب الاهلية الاسبانية بعد خمسين عاما، جروس برس ، لبنان ١٩٨٦.
٣) ايمان جواد هادي ، دور المانيا في الحرب الاهلية الاسبانية ١٩٣٦-١٩٣٩ ، اطروحة دكتوراة (غير منشورة) ، كلية التربية ابن رشد ، جامعة بغداد ،٢٠٠٠.
٤) عمر عبد العزيز عمر و محمد علي القوزي ، دراسات في تاريخ اوربا الحديث والمعاصر ١٨١٥_١٩٥٠، دار النهضة ، بيروت ،١٩٩٨.
٥) رياض الصمد، العلاقات الدولية في القرن العشرين ،ج١، د.ت.
٦) بيير رونوفن ،تاريخ القرن العشرين ١٩٠٠_١٩٤٨، ترجمة نور الدين حاطوم، دمشق ،١٩٥٩.
٧) عبد العزيز نوار ، التاريخ المعاصر ، دار الفكر العربي، القاهرة ، ١٩٨٢.